سيميولوجيا التواصل
ـ قراءة في علاقة السيميائيات بالأنساق و الأنظمة التواصلية ـ

Symiology of Communication
Reading in a relationship between Symiology and Communication Formats and Systems

لواتي ربيعة[1]

[1] جامعة الجزائر 03،(الجزائر). *roubirabi3a@yahoo.com*

تاريخ الإستلام: 2019.01.24 **تاريخ القبول**: 2019.03.01 **تاريخ النشر**: 2019.07.30

ملخص

تعتبر سيميولوجيا التواصل من أهم الاتجاهات الحديثة للسيميولوجيا، فهي تعتبر اتجاها قويا فرض نفسه و أفكاره على الكثير من الباحثين، خاصة أقطاب المدرسة الفرنسية على غرار "بويسنيس"، " بريتو" و "جورج مونان"، و هو كذالك اتجاه قوي فرض نفسه وأفكاره خلال القرن العشرين باعتباره علما للأنظمة اللسانية وغير اللسانية، فسيميولوجيا التواصل تهدف إلى الإبلاغ ، و من ثم تأتي هذه الورقة البحثية لتقديم قراءة حول علاقة السيميائيات بالأنساق و الأنظمة التواصلية المختلفة على غرار التواصل اللساني، التواصل غير اللساني، النموذج الاجتماعي للتواصل و أنظمة التواصل البصرية.

الكلمات المفتاحية: *السيميولوجيا، التواصل، الأنساق التواصلية،الأنظمة اللسانية، الأنظمة غير اللسانية.*

.

Abstract

The Symiology of communication is one of the most important modern trends of Symiology, It is a strong tendency to impose itself and its ideas on many researchers, especially French school leaders such as "Business", "Britton" and "George Mona". It is a strong tendency to impose itself and ideas during the twentieth century as a science of linguistic and non-linguistic systems, the Symiology of communication aims to report, and then comes this research genetics to provide a reading on the relationship of the Symiology different formats and communication systems such as linguistic communication, non-verbal communication, the social model of communication and visual communication systems.

Keywords*: Symiology, Communication, communication formats, Linguistic systems, non-linguistic systems.*

[1] **المؤلف المرسل**: لواتي ربيعة، **الإيميل**: *roubirabi3a@yahoo.com*

مقدمة

تدرس السيميولوجيا العلامات وأنساقها سواء كانت هذه العلامات لسانية أم غير لسانية و ذالك من منطلق أن السيميولوجيا هي العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أي كان مصدرها لغويا أم سننيا أم مؤشريا، فهي العلم العام للدلائل التواصلية، **و ما يهمنا في هذه الدراسة هو التوقف عند سميولوجيا التواصل التي تعنى بدراسة الأنظمة التواصلية من خلال علاقتها بالسيميولوجيا باعتبار أن السيميولوجيا تتخذ من العلامة كموضوع و انشغال بحثي لها، هذه الأخيرة تستهدف تحقيق التواصل** ، فبالإضافة الى الأنساق اللسانية فإن السيمياء وسعت من دائرة اهتمامها لتجعل كل الأنساق التواصلية التي يستعين بها الانسان في خلق حوار مع الآخر موضوعا لدراستها،فلا يمكن الفصل بين التواصل و الدلالة ذالك بموجب أن كل تواصل يحمل معنى و أن كل فعل تواصلي موجه إلى كائنات إنسانية أو محقق بينها يفترض نسق دلالة كشرط ضروري له، و من ثم فإن كل السلوكات الإنسانية هي بمثابة تواصل ضمن المنظومة الاجتماعية، و أن كل عملية تواصلية هي تبادل للدلائل بين المرسل و المرسل إليه داخل سوق لفظية أو غير لفظية، و بذالك فإن الأنساق اللغوية أو الأنساق غير اللفظية هي في علاقة تبادل و تأثير لتأدية الوظيفة الدلالية،و من ثمة تظهر إذن السيميولوجيا باعتبارها وصفا لجميع أنظمة التواصل التي يمكن أن تقوم على قصد التواصل، وهذا القصد التواصلي حاضرا في الأنساق اللغوية وغير اللغوية أو ما تسمى بالأنظمة و الأنساق التواصلية، و من ثم تأتي هذه الدراسة للبحث في الإشكالية التالية: فيما تتمثل أبرز المظاهر و الأشكال العلائقية بينا السيميائيات والأنظمة التواصلية؟

1. تحديد المفاهيم و المصطلحات

1.1 مفهوم السيمياء:

عرفها جورج مونان بأنها : " العلم العام الذي يدرس كل أنساق العلامات التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس، و السيميولوجيا تدرس العلامات و أنساقها سواء كانت هذه العلامات لسانية أو غير لسانية و بقول "لويس بريتو" السيميولوجيا هي العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيا كان مصدرها، و موضوع السيميائيات هو العلامة هذه الأخيرة حسب الايطالي Umberto Eco تستهدف تحقيق التواصل و نقل معنى خاص أو حالة شعورية لباث إلى مستقبل، فكل مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكل موضوعا للسيميائيات، فالابتسامة و الفرح و اللباس و طريقة استقبال الضيوف و إشارات المرور و الطقوس الاجتماعية و الأشياء التي نتداولها فيما بيننا و كذالك النصوص الأدبية و الأعمال الفنية، كلها علامات نستند إليها في التواصل مع محيطنا، فبالإضافة الى الأنساق اللسانية فإن السيمياء وسعت من دائرة اهتمامها لتجعل كل الأنساق التواصلية التي يستعين بها الانسان في خلق حوار مع الآخر موضوعا لدراستها.[1]

2.1 مفهوم التواصل:

يدل التواصل على عملية نقل الأفكار و التجارب و تبادل المعارف و المشاعر بين الذوات و الأفراد و الجماعات، و قد يكون هذا التواصل ذاتيا شخصيا أو تواصلا غيريا، و قد ينبني على الموافقة أو على المعارضة

و الاختلاف، و يفترض التواصل مرسلا و رسالة و متلقي و شفرة يتفق على أسننتها و تشفيرها كل من المتكلم و المستقبل وسياقا مرجعيا و مقصدية الرسالة.و التواصل هو العملية التي بها يتفاعل المرسلون و المستقبلون للرسائل في سياقات اجتماعية معينة و للتواصل ثلاثة وظائف هي التبادل و التبليغ و التأثير، و يعرف التواصل أيضا تبادل المعلومات و الرسائل اللغوية و غير اللغوية سواء كان هذا التبادل قصديا أو غير قصدي بين الأفراد والجماعات و من ثم لا يقتصر التواصل على ما هو ذهني بل يتعداه الى ما هو وجداني و حسي و حركي،[2] و تركز الصورة المجردة للتواصل على ثلاثة عناصر أساسية هي: الموضوع،الآلية و تتمثل في التفاعلات اللفظية و غير اللفظية، و الغائية و يشمل الهدف من التواصل، و يمكن الحديث عن وجود عدة انواع من التواصل الانساني و السيميائي فهناك التواصل البيولوجي، التواصل الإعلامي، التواصل السيميائي، التواصل التربوي، التواصل السيكيولوجي و التواصل الاجتماعي و التواصل الثقافي ... الخ،و فيما يلي سياقات التواصل التي يمكن تحديدها في النقاط التالية :[3]

- السياق المادي: نقصد به المحيط المادي أو الواقعي، قاعة أو متنزه فالكلام يختلف من سياق مادي الى آخر مثلا الكلام في سياق جنائزي يختلف عن الكلام في حصة كره قدم.
- السياق الثقافي: أنماط الحياة المعتقدات القيم و السلوك و التواصل و القواعد التي يؤسس عليها الناس ويقررون ما هو خير أو شر.
- السياق الاجتماعي النفسي: العلاقات بين أوضاع المتشاركين في التواصل و المعتقدات و النماذج الثقافية للمجتمع، ففي المقهى مثلا لا يتحدث الشخص بنفس الطريقة التي يتحدث بها في العمل أمام مرؤوسه.
- السياق الزمني: مكانة رسالة في سلسلة من الأحداث مثلا المرء لا يتكلم بعد وفاة قريبته بنفس الطريقة التي يتحدث بها بعد استلامه لجائزة.

3.1 سيميولوجيا التواصل:

السيميائيات هي علم جديد يعنى بدراسة الأنساق الدالة اللفظية و غير اللفظية، و السيميولوجيا عند سوسير هي العلم العام للدلائل التواصلية و ليس اللغوي و حسب، و امتزت السيميولوجيا السوسورية بحصر دائرة الاهتمام في العلاقات القائمة بين الدوال و المدلولات، دونما الاهتمام بالعناصر الأخرى الأساسية في اللغة حيث اغفل سوسير المرجع أو الأشياء التي تحيل عليها الكلمات و لم يلتفت الى العناصر النصية التي تتخطى الجملة ناهيك عن العناصر النفسية و الاجتماعية و الحضارية و الثقافية التي لا يمكن بدونها التمكن من الفهم المناسب لنسق اللغة، إلا أن السيميائي الأمريكي شارل موريس و شارل سندر بيرس تدارك هذا النقص بالتمييز بين الأبعاد الدلالية و التركيبية و التداولية، فالبعد الدلالي هو العلاقة بين الدال و المدلول، والبعد التركيبي هو العلاقة بين الدلائل فيما بينها، و البعد التداولي هو العلاقة بين الدلائل و مستعملها.و عليه فإن المشروع السوسوري كان هو تسييج و حصر اللغة دونما العناصر الخارجية الأخرى و لكن في مرحلة ثانية عادت هذه العناصر كلها بعدما تبين للدارسين، تعذر فهم هذه المادة اللغوية أو اللفظية بدون مراعاة العناصر الخارجية، و هنا بدأت الثورة الثانية في

السيميولوجيا و هو تحول السيميولوجيا نظرية في التواصل. حيث تم توسيع المجال الدلائلي بل اللغوي فلم تعد فقط اللغة تشمل اللغة اللفظية و المكتوبة و المصورة بل أصبحت تشمل عناصر أخرى لم يتحدث عنها سوسير، فالتواصل لا يقتصر فقط على توصيل الرسائل اللفظية فقط الصريحة أو القصدية، بل التواصل يشمل مجموع العمليات التي يتبادل بها المخاطبين التأثير، فكل فعل و كل حدث يوفران مظاهر تواصلية بمجرد ما يتم إدراكهما من قبل كائن إنساني. و هنا تم تفجير السيميولوجيا لكي تصبح تواصل. و لقد كان هناك تصور بان التواصل يقوم على الدلائل اللفظية فحسب وهو تصور موروث من اليونان أو في الفكر القديم حيث كانوا يتصورون أن التواصل لا يتم إلا من خلال الكلمات، و قد قدم في هذا السياق عالم الانتروبولوجيا الأمريكي " ديل هايمس" بان التواصل في المجتمعات الحديثة الى تبادل المعلومات بين شخصين أو نقل المعلومات عبر وسائل الاتصال و لكن التواصل في السياقات الغربية الأخرى مختلف، ففي ثقافة الهنود مثلا يسلم الناس بان الآلهة تخاطبهم عن طريق البرق و هي الواقعة و الوقائع الأخرى المشابهة هي من قبيل التواصل و عليه و حسبه يجب أن ندمج في التواصل كل العوامل التي ينسب إليها أطراف هذا المجتمع نية التواصل "الآلهة، و الأموات و الحيوانات"، و كل الوسائل التي تتوسل بها هذه الأطراف من برق مثلا لمخاطبة الناس أو التحاور بينهم.

و يضيف " هايمس" بأن أي سلوك و أي شيء يمكن أن يكون تواصلا،و هنا بدأت الثورة الثالثة في السيميولوجيا و هي اعتبار كل الأشياء الخارجية قابلة لان تكون أدوات للتواصل طالما أنها تدخل في دائرة الاهتمام تؤثر بكيفية ما في توجيه السلوك، فللعلامات أهمية كبرى تتجلى في كونها تحقق التواصل بين الناس في المجتمع، و يقول في هذا الصدد " Collin Cherry " لا يوجد تواصل بدون نسق مكون من دلائل، ذالك بأن التواصل اللساني في جوهره أنما هو تبادل الدلائل أو العلامات بين بني البشر مثلما يقول السيميائي الايطالي Rossi Landi و نظرا لأهمية التواصل نشأ في مجال السيميائيات مجال يعنى بالتواصل و الابلاغ، و كل عملية تواصلية هي تبادل للدلائل بين مرسل و مرسل اليه داخل سوق لفظية او غير لفظية ذالك ان المعنى لا يتحدد ما لم نتواصل.[4]

و لسيمياء التواصل محوران اثنان هما العلامة و التواصل، و ينقسم التواصل السيميائي الى إبلاغ لساني وإبلاغ غير لساني، فالتواصل اللساني يتم عبر الفعل الكلامي فعند دوسوسير لابد من متكلم و مستمع بالإضافة الى تبادل الحوار عبر الصورة الصوتية و الصورة السمعية، بينما التواصل لدى شانون و ويفر فيتم عبر الرسالة من قبل المتكلم الى المستقبل و هذه الرسالة يتم تشفيرها و ترسل عبر القناة و يشترط فيها الوضوح و سهولة المقصدية لنجاح هذه الرسالة قصد أداء وظيفتها و بعد التسليم يقوم المرسل إليه بتفكيك الشفرة و تأويلها.[5] أما التواصل غير اللفظي و غير اللساني فيعتمد على أنظمة سننية غير أنساق اللغة و هي حسب بويسنيس مصنفة حسب معايير ثلاثة هي:

- معيار الإشارية النسقية: حيث تكون العلامات ثابتة و دائمة و من أمثلة ذالك الدوائر و المثلثات والمستطيلات .
- معيار الإشارية اللانسقية: عندما تكون العلامات غير ثابتة و غير دائمة على عكس المعيار الأول مثل الملصقات الدعائية.

- معيار الإشارية: حيث العلاقة جوهرية بين معنى المؤشر و شكله كالشعارات الصغيرة التي ترسم عليها قبعة أو مظلة ثم تعلن على واجهات المتاجر دليلا على ما يوجد فيها من البضائع.[6]

و تهدف سميولوجيا التواصل عبر علاماتها وأماراتها وإشاراتها إلى الإبلاغ والتأثير على الغير عن وعي أو غير وعي، وبتعبير آخر تستعمل السيميولوجيا مجموعة من الوسائل اللغوية وغير اللغوية لتنبيه الآخر والتأثير عليه عن طريق إرسال رسالة وتبليغها إياه .ومن هنا فالعلامة تتكون من ثلاثة عناصر: الدال والمدلول والوظيفة القصدية ويمثل هذه السيميولوجيا كل من بريطو Prieto ومونان Mounin وبويسنس Buyssens الذين يعتبرون الدليل مجرد أداة تواصلية تؤدي وظيفة التبليغ وتحمل قصدا تواصليا. وهذا القصد التواصلي حاضر في الأنساق اللغوية وغير اللغوية، كما أن الوظيفة الأولية للغة هي التأثير على المخاطب من خلال ثنائية الأوامر والنواهي، ولكن هذا التأثير قد يكون مقصودا وقد لا يكون مقصودا. و يستخدم في ذلك مجموعة من الأمارات والمعينات Indications التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث:

- الأمارات العفوية وهي وقائع ذات قصد مغاير للإشارة تحمل إبلاغا عفويا وطبيعيا مثال : لون السماء الذي يشير بالنسبة لصياد السمك إلى حالة البحر يوم غد.
- والأمارات العفوية المغلوطة التي تريد أن تخفي الدلالات التواصلية للغة كأن يستعمل متكلم ما لكنة لغوية ينتحل من خلالها شخصية أجنبية ليوهمنا بأنه غريب عن البلد.
- والأمارات القصدية التي تهدف إلى تبليغ إرسالية مثل : علامات المرور، وتسمى هذه الأمارات القصدية أيضا بالعلامات.

وكل خطاب لغوي وغير لغوي يتجاوز الدلالة إلى الإبلاغ والقصدية الوظيفية، يمكننا إدراجه ضمن سيميولوجيا التواصل، و عمل أصحاب سيميولوجيا التواصل على تطوير آراء "دو سوسير" حول اللغة و التي قال عنها أنها نظام من الإشارات التي يعبر بها عن الأفكار، و هنا خص بحديثه الإشارات اللغوية و غير اللغوية إلا أنه ركز على الجانب اللغوي، ليؤكد بعده رواد سيميولوجيا التواصل أن وظيفة اللسان الأساسية هي التواصل و لا تختص هذه الوظيفة بالألسنية فقط و إنما توجد أيضا في البنيات السيميائية التي تشكلها الأنواع الأخرى غير اللسانية، وبذلك يمكن للسيميولوجيا حسب بويسنيس أن تعرف باعتبارها "دراسة طرق التواصل، أي دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير والمعترف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي يتوخى التأثير". وقد طالب "بويسنيس و بريتو ومونان" تلافيا لتفكيك موضوع السيميولوجيا بالعودة إلى الفكرة السوسيرية، بشأن الطبيعة الاجتماعية للعلامات، لقد حصروا السيميولوجيا بمعناها الدقيق، في دراسة أنساق العلامات ذات الوظيفة التواصلية. والتواصل لدى بويسنيس هو الهدف المقصود من السيميولوجيا، بل إن السيميولوجيا، كما يرى بريطو، ينبغي عليها أن تهتم، فيما يرى بويسنيس، بالوقائع القابلة بالإدراك والمرتبطة بحالات الوعي والمنتجة بقصد التعريف بحالات الوعي هاته، وبعبارة أخرى، فإن التواصل هو الذي يشكل موضوع السيميولوجيا. "والتواصل المقصود هو من جنس التواصل الإنساني، لأن هذا التواصل هو التواصل الحق"، وإذا أخذنا بعين

الاعتبار كل ما سبق فإن موضوع السيميولوجيا هو الدلائل القائمة على القصدية التواصلية، ولهذا السبب سميت هذه السيميولوجيا سيميولوجيا التواصل.

2. **رواد سيميولوجيا التواصل**:

إريك بويسنيس: يكون ميلاد سيميولوجيا التواصل[7] مع إريك بويسنيس , الذي نشر كتابه سنة 1943 اللغات والخطابات , محاولة في اللسانيات الوظيفية في إطار السيميولوجيا ثمّ أعاد النظر من جديد سنة 1967 تحت عنوان : التواصل والتعبير اللساني la communication et l'articulation linguistique: وبهذا سيكون ' إريك بويسنيس ' من أوائل المناصرين اللسانيين من أمثال : "جورج مونان" لويس جورج بريتو" أندري مارتيني " في تحديدهم لسيميولوجيا التواصل , وفي وضعهم لمبادئها وأسسها : وهنا يعرف إريك بويسنيس سيميولوجيا التواصل أنها : دراسة طرق التواصل , أي دراسة الوسائل المستعملة للتأثير على الغير والمعترف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي نتوخى التأثير عليه . إن السيميولوجيا لدى إريك بويسنيس تهتم بالحوادث المرتبطة بحالات الوعي لدى المستقبل والمرسل معا لأن الوظيفة الأساسية للغة : هي الاتصال , التبليغ , والإقناع , والتأثير في الغير[8]. ولهذا يعتبر بويسنيس: الدليل (العلامة) مجرد أداة تواصلية تؤدي وظيفة التبليغ وتحمل قصدا تواصليا وهذا القصد التواصلي حاضرا في الأنساق اللغوية وغير اللغوية.

لويس بريتو: يرى بريتو: أن السيميولوجيا تدرس العلامات وأنساقها سواء كانت هذه العلامات لسانية أم غير لسانية : يقول luis j prieto إن السيميولوجيا هي العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أي كان مصدرها لغويا أم سننيا أم مؤشريا .[9] و موضوع السيميولوجيا عند لويس بريتو هو العلامات القائمة على القصدية التواصلية . لهذا سميت هذه **السيميولوجيا التواصل** .و من هنا يميز بريتو بين أمارات ثلاث في تصنيفه للدلائل اللغوية وأنظمة التواصل :

- **الأمارات العفوية :** وهي وقائع ذات قصد مغير للإشارة تحمل إبلاغا عفويا وطبيعيا مثال : لون السماء الذي ينبأ بالنسبة للصياد على حالة البحر في البوم الموالي .
- **الأمارات العفوية المغلوطة:** التي تريد أن تخفي الدلالات التواصلية للغة كأن يستعمل متكلم ما لكنة لغوية ينتحل من خلالها شخصية أجنبية ليوهمنا أنه غريب عن البلد .
- **الأمارات القصدية:** التي تهدف إلى تبليغ إرسالية ما مثل : علامات المرور, وتسمى هذه الأمارات القصدية أيضا ب العلامات , فكل خطاب لغوي أو غير لغوي يتجاوز الدلالة إلى الإبلاغ و القصدية الوظيفية ,يمكننا إدراجه ضمن سيميولوجيا التواصل.[10] مثال : في الحملة الانتخابية للولايات المتحدة , فكل من يرفع العلم الأحمر, فهو من مؤيدي الحزب الجمهوري . هنا نرى النية القصدية.[11]

جورج مونان: يعرف جورج مونان في مؤلفه "مدخل إلى السميولوجيا" ، السيميولوجيا على أنها "دراسة طرق التواصل، أي دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير والمعترف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي نتوخى التأثير عليه. "[12] حيث حدد جورج مونان شرطين أساسيين لحصول عملية التواصل وهما: النية في الإبلاغ

عند المرسل، بالإضافة إلى اعتراف المتلقي بالرسالة المرسلة إليه بمعنى حصول الإدراك بعملية التلقي، ومنه يمكن أن نستنتج أن مونان يعتبر الدليل مجرد أداة تواصلية تؤدي وظيفة التبليغ وتحمل قصدا تواصليا.

3. السيمياء و علاقتها بالتواصل:

1.3 السيميائيات و التواصل اللفظي:

ذهب مجموعة من اللسانيين إلى أن اللغة وظيفتها التواصل كفرديناند دو سوسير الذي يرى في كتابه"محاضرات في اللسانيات العامة" (1916) أن اللغة نسق من العلامات والإشارات، هدفها التواصل خاصة أثناء اتحاد الدال مع المدلول بنيويا، أو تقاطع الصورة السمعية مع المفهوم الذهني. وهو نفس المفهوم الذي كان يرمي إليه تقريبا ابن جني في كتابه"الخصائص" عندما عرف اللغة بأنها:" أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم".

ويعرف أندري مارتيني André Martinet اللغة بأنها عبارة عن تمفصل مزدوج وظيفتها التواصل. ويعني هذا أن اللغة يمكن تقسيمها إلى تمفصل أول وهو المونيمات(الكلمات)، وبدورها تنقسم إلى فونيمات(أصوات)، ومورفيمات(مقاطع صرفية)، والتي تشكل بدورها التمفصل الثاني. لكن الأصوات لايمكن تقسيمها إلى وحدات أخرى؛ لأن الصوت مقطع لا يتجزأ. وإذا جمعنا الفونيمات مع بعضها البعض كونا مونيمات، وإذا جمعنا الكلمات كونا جملا، والجمل بدورها تكون الفقرات والمتواليات، والفقرات بدورها تكون النص، ويكون النص- تأليفا واستبدالا- ما يسمى باللغة، والتي من أهدافها الأساسية التواصل.

ويذهب رومان جاكبسون إلى أن اللغة ذات بعد وظيفي، وأن لها ستة عناصر وست وظائف: المرسل ووظيفته انفعالية، والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية، والرسالة ووظيفتها جمالية، والمرجع ووظيفته مرجعية، والقناة ووظيفتها حفاظية، واللغة ووظيفتها وصفية. وهناك من يضيف الوظيفة السابعة، وهي الوظيفة الأيقونية.

وإذا كان الوظيفيون يرون أن اللغة واضحة تؤدي وظيفة التواصل الشفاف بين المتكلم والمستمع،فإن أزوالد دوكرو Ducrot يرى خلاف ذلك أن اللغة ليست دائما لغة تواصل واضح وشفاف، بل هي لغة إضمار وغموض وإخفاء. ويعني هذا أن الفرد قد يوظف اللغة باعتبارها لعبة اجتماعية للتمويه والتخفية وإضمار النوايا والمقاصد. ويكون هذا الإضمار اللغوي ناتجا عن أسباب دينية واجتماعية ونفسية وسياسية وأخلاقية. فمهرب المخدرات قد لا يستعمل اسم مهرباته بطريقة مباشرة، بل يستعمل الرموز للإخفاء، كأن يقول لصديقه: هل وصلت الحناء إلى هولندا؟ كما أن أسلوب الأمر في الشريعة الإسلامية يستعمل للوجوب والدعاء والندب، وهذا يعني أن اللغة فيها أوجه دلالية عدة؛ مما يزيد من غموضها وعدم شفافيتها التواصلية.و يعتبر النموذج اللساني أرقى الأنساق و النماذج و أكثرها شمولية و انسجاما من جهة و باعتباره النسق الذي تتم من خلاله عملية تأويل كل الأنساق الأخرى، فاللسان هو أرقى الأنساق التواصلية كما يقول سوسير.[13] إن وظيفة اللغة التواصلية تعطي لمستعمل اللغة الطبيعية إمكان التواصل، وإمكان توظيف العبارات في المقامات المناسبة، وعلى هذا الأساس فإن منطلق الوظيفيين يمكن تلخيصه في مسألتين أساسيتين:

أ- الوظيفة الأولى للغة هي التواصل.

ب- تحدد الأهداف التواصلية بنيات اللغات الطبيعية.

ولعل هذا هو المبدأ الذي يحكم أيضا رواد سيميولوجيا التواصل، حيث يرى أنصار هذا الاتجاه في الدليل "le signe" غير كونه أداة تواصلية أو أداة قصد تواصلي. "إن الوظيفة الخاصة بالبنيات السيميوطيقية التي نسميها بالألسنة هي التواصل. ولا تختص هذه الوظيفة بالألسنة فقط، وإنما توجد أيضا في البنيات السيميوطيقية التي تشكلها الأنواع السننية غير اللسانية"،و يرى " ايميل بنفست" أن اللغة هي نظام سيميائي كونها أداة للتواصل بين مرسل و مرسل إليه.[14]

2.3 **السيميائيات و التواصل غير اللفظي:**

تقوم الأداة البصرية بدور أساسي في التواصل على أساس أن فعل التواصل بين المرسل و المرسل إليه لا يوظف فقط نسقا لغويا منطوقا فحسب، بل إنه يستعمل نظاما من الحركات و الإشارات و الإيماءات التي تندرج فيما نسميه بالتواصل غير اللفظي و هو مجموع الوسائل الاتصالية الموجودة لدى الأشخاص الأحياء والتي لا تستعمل اللغة الإنسانية،و تستعمل لفظة التواصل غير اللفظي للدلالة على الحركات و هيئات وتوجهات الجسم و على خصوصيات جسدية و اصطناعية، بل على كيفية تنظيم الأشياء التي بفضلها تبلغ المعلومات، و هكذا فإن ملاحظة عادية لما يجري في القسم من سلوكيات غير لفظية بين المعلم و التلاميذ مثلا هي كنز للعديد من المؤشرات و المعلومات على جوانب انفعالية و وجدانية كما أنها تكشف عن المخفي والمستتر في كل علاقة إنسانية و هنا يقول فرويد: " من له عينان يرى بهما يعلم أن البشر لا يمكن أن يخفوا أي سر فالذي تصمت شفتاه يتكلم بأطراف أصابعه فكل هذه السموم تفضحه "،و من هنا يساعدنا التواصل المرئي على تحديد الجوانب التالية:

- تحديد المؤشرات الدالة على الانفعالات و العلاقات الوجدانية بين المرسل و المتلقي.
- تعزيز الخطاب اللغوي و إغناء الرسالة بتدعيمها بالحركات لضمان استمرارية التواصل بين المرسل و المتلقي.
- يؤشر التواصل غير اللفظي على الهوية الثقافية للمتواصلين من خلال نظام الحركات و الإشارات الجسدية.

و قد حدد " هاريسون" بعض العناصر التي تتصل بالتواصل غير اللفظي و حصرها في كل:

- كل التعابير المنجزة بواسطة الجسد من حركات و ملامح .. و غيرها و التي تنتمي إلى شفرة الإنجاز.
- العلامات الثقافية كطريقة اللباس و تتمثل في الشفرة الاصطناعية
- استعمال المجال و الديكور و تمثل الشفرة السياقية.
- الآثار التي تحدثها الآثار و الألوان مثل نظام إشارات المرور و هي الشفرة الوسيطة.[15]

و لقد حظي التواصل غير اللفظي مؤخرا باهتمام كثير من الدارسين مع تطور اللسانيات و السيميوطيقا و علم النفس الاجتماعي حيث تزايد الاهتمام بموضوع التواصل الاشاري أو غير اللفظي، و عليه فان التواصل غير اللفظي مهم في تمتين العلاقات الإنسانية و البشرية و هو يساهم في كشف رضا الأفراد و انفعالاتهم داخل جماعات معينة و استخلاص مميزاتهم الثقافية و الحضارية، و تبيان مقوماتهم السلوكية و الحركية في التعامل مع

الأشياء و المواقف داخل سياقات معينة، يبقى التواصل الاشاري غير كاف لتأدية كل الرسائل بوضوح و شفافية إذ لا بد أن يعزز بالتفاعلات اللفظية التي تزيل كل إبهام و تشويش عن كل إرسالية غير لفظية في مجال التواصل.

و تتكون الأنساق غير اللفظية التي لها وظيفة تواصلية مما يلي:[16]

- حركات الأجسام و أوضاع الجسد مثل التواصل بالإشارات و تعابير الوجه و تعابير أخرى .
- الإشارات الدالة على القرب و التي تتعلق باستعمال الانسان للمجال المكاني.
- التواصل اللمسي و الشمي و السمعي و البصري.
- التواصل الشيئي و هي القائمة على أشياء يروضها الانسان و ينتجها و يستعملها مثل ثياب و حلي و زخارف و أدوات مختلفة و آلات بناء من كل نوع و موسيقى ...
- التواصل الذي تعنى به كل التنظيمات الاجتماعية و بالتحديد كل الأنساق المتصلة بروابط القرابة والطقوس و الأعراف و العادات و الديانات

و يمكن الإشارة الى أهم العلامات التي تندرج ضمن السيميائيات غير اللغوية في النقاط التالية:[17] العلامات الشمية،العلامات اللمسية،العلامات الذوقية،العلامات الإشارية أو الإيمائية،العلامات السمعية،العلامات الأيقونية أي البصرية .

3.3 السيمياء و النموذج الاجتماعي للتواصل:

هو نموذج Riley et Riley الذي يعتمد على فهم طريقة انتماء الأفراد إلى الجماعات، فالأفراد يتأثرون ويفكرون و يحكمون و يرون بمنظار الجماعات التي ينتمون إليها و التي بدورها تتطور في حضن السياق الاجتماعي الذي أفرزها، و يلاحظ أن هذا النموذج ينتمي إلى علم الاجتماع و خاصة علم النفس الاجتماعي حيث يرصد مختلف العلاقات النفسية و الاجتماعية بين المتواصلين داخل السياق الاجتماعي، و هذا ما يجعل هذا النظام يساهم في تأسيس علم تواصل الجماعة. و عرف فرديناند دوسوسير " السيميولوجيا الاجتماعية" التي يري بأن علم العلامات هو دراسة لحياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، فالعلامة لا توجد من غير مفسر و قارئ لها، كما أن السنن هي بمثابة أعراف اجتماعية، أعراف مترابطة تحدد العلاقات المتبادلة بين الدال و المدلول في ظاهرة ما[18]، و يهدف التواصل الاجتماعي إلى الدلالة على علاقة قائمة بين بني الإنسان، ومن ثمة بين المرسل والمتلقي، فالمجتمع نسق من العلاقات بين الأفراد تتغيى الحفاظ على النسل، وتوفير التبادل والإنتاج... ولتحقيق هذه الغايات، تلزم الدلالة على مواقع الأفراد في الجماعة، وموقع الجماعة داخل المجتمع، وهذا هو دور الشارات والشعارات التي تومئ إلى الانتماء إلى فئة اجتماعية : عشيرة كانت أو مهنة أو جمعية... أما الشعائر والاحتفالات والأعياد والموضات والألعاب فهي أشكال تواصلية يحدد من خلالها الفرد نفسه بالنظر إلى الجماعة، والجماعة بالنظر إلى المجتمع. وهي تبرز في الآن ذاته الدور الذي يضطلع به كل فرد داخل المجتمع والنصيب الذي يأخذ منه، و السنن الاجتماعية تنظيم للمجتمع ودلالة عليه. ودوال هذه السنن هم الأفراد أو الجماعات أو العلائق. غير أن الإنسان هو مادة العلامة وحاملها. فهو الدال والمدلول في الوقت نفسه، أي أنه علامة.

وتتخذ التجربة الاجتماعية مظهرا مزدوجا : منطقيا ووجدانيا. فالعلامات التي تشير إلى موقع الفرد أو الجماعة داخل التراتبية السياسية والاقتصادية والمؤسسية وكيفية تنظيمها، تنتمي إلى المنطق، أما العلامات التي تعبر عن العواطف والمشاعر التي يحس بها الفرد أو الجماعة نحو الأفراد الآخرين أو الجماعات الأخرى فتتصل بالوجدان.

4.3 السيمياء و أنظمة التواصل البصرية " الصورة ":

أصبحت الصور تمثيل للواقع و شحنت بمعاني و دلالات سمحت لها بالحفاظ على مكانتها على مر العصور حيث أدت دورا حاسما كوسيط للتواصل، حيث تعتبر الصورة احد أهم الوسائط التواصلية نظرا لما تتميز به من قوة التاثير و غزارة المعاني و الدلالات،فالرسائل البصرية قائمة على المماثلة و المشابهة و هي ما يمز الصورة علن الأنساق التواصلية الأخرى عكس الرسائل اللسانية القائمة على الاعتباطية.

و منذ أن جعل ش.س.بيرس Ch.S.Peirce من عنصر المماثلة (Lekness) الخاصية الأساسية للعلامات الأيقونية ظهرت مجموعة من الأبحاث تحاول جاهدة إضفاء طابع المماثلة Analogie على الصورة إلى درجة إقامة حدود فاصلة بين "لغة الصور" و"لغة الكلمات".

صحيح أن ما يميز الصورة البصرية، في رأي ك.ميتز، عن باقي الأنظمة الدالة، ومنها اللغة خاصة، هو حالتها "التماثلية" أو ايقونيتها في اصطلاح السيميولوجيين الأمريكان، أي شبهها الحسي العام للموضوع الذي تمثله. فصورة القط تشبه القط فعلا، بينما لا يشبه القط في شيء العنصر الصوتي/قط/أو العنصر المكتوب "قط".

غير أن الصورة ليست تماثلية سوى في شكلها العام، وهي إضافة إلى ذلك تحتوي على مجموعة من العلاقات الاعتباطية بموضوعها. فأن نجعل من عنصر المماثلة الخاصية المثلى للصورة البصرية ليس سوى عملية إسقاط للجزء على الكل. وكما لا يصح أن نعمم ظاهرة الصوتية في اللغة الطبيعية على النسق العام لهذه اللغة، فإنه لا يصح أن نغلق الصورة على نفسها وفي استقلال عن باقي الأنظمة الدالة نتيجة خاصية المماثلة التي ليست سوى جزء من مكوناتها العامة.

إن أهمية المماثلة تتجسد في كونها وسيلة لتحويل الأسنن codes. فعن طريق تشابه الصورة لموضوعها "الواقعي" تقوم إمكانية قراءة أو فك رموز الصورة التي تستفيد هي نفسها بالأسنن التي تدخل في قراءة الموضوع نفسه،إلا أن هذه الأهمية تختلف من صورة إلى أخرى. ففي بعض الأشكال الأيقونية كالاتجاهات المعاصرة في الفنون التشكيلية، قد لا تفيدنا خاصية المماثلة بأية قيمة تذكر. وذلك راجع إلى غيابها إطلاقا من بعض الصور أو الرسوم، مما يضطر الدارس إلى البحث عن سبل أخرى لفهم الصورة مستندا في ذلك مثلا إلى طبيعتها الرمزية (أو الاعتباطية). وهذا يؤدي بالضرورة إلى الخروج من الحيز المطلق للصورة لإقامة نوع من التواصل مع أنظمة دالة أخرى وفي مقدمتها اللغة لما يكتسيها هي أيضا من طباع اعتباطي.

إن تعريف العلامة الأيقونية على أنها كل علامة مشابهة لموضوعها، تعريف نسبي جدا، ولا يغطي خصائص العلامة الأيقونية بجملتها. إنه بالأحرى تعريف ناقص لا يأخذ بعين الاعتبار طبيعة هذه المماثلة بين العلامة

والموضوع الذي تمثله، مما حذا بالباحث ش.موريس Ch. Moris إلى إعطاء هذا التعريف صيغة أكثر دقة وتحديدا. فالعلامة الأيقونية بالنسبة لهذا الباحث هي كل علامة تمتلك بعض مظاهر الموضوع الذي تمثله.

خاتمة

يتبين لنا من خلال هذه القراءة في علاقة السيميائيات بالتواصل أن سيميولوجيا التواصل تلك التي تهدف إلى الإبلاغ و التواصل من خلال ربط الدليل بالمدلول و الوظيفة القصدية، و تهدف سميولوجيا التواصل عبر علاماتها وأماراتها وإشاراتها إلى الإبلاغ والتأثير على الغير عن وعي أو غير وعي، وبتعبير آخر تستعمل السيميولوجيا مجموعة من الوسائل اللغوية وغير اللغوية لتنبيه الآخر والتأثير عليه عن طريق إرسال رسالة وتبليغها إياه .ومن هنا فالعلامة تتكون من ثلاثة عناصر: الدال والمدلول والوظيفة القصدية ويمثل هذه السيميولوجيا كل من بريطو Prieto ومونان Mounin وبويسنس Buyssens الذين يعتبرون الدليل مجرد أداة تواصلية تؤدي وظيفة التبليغ وتحمل قصدا تواصليا. وهذا القصد التواصلي حاضر في الأنساق اللغوية وغير اللغوية.

الهوامش

1. سعيد بنكراد: **السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها**،ط1، منشورات دار الأمان، المغرب، 2015، ص 19.
2. جميل حمداوي:**التواصل السيميائي و التربوي**، منشورات الألوكة، الأردن، 2012، ص 7.
3. جوزيف دوفيتو، ترجمة حسن الطالب: **مبادئ التواصل الانساني**، مجلة علامات، العدد 29، المغرب، ،2008، ص 116.
4. مبارك حنون: **دروس في السيميائيات**، دار توبقال للنشر، المغرب، 1987، ص 16.
5. جميل حمداوي: **التواصل السيميائي و التربوي**، مرجع سبق ذكره، ص 16.
6. نفس المرجع، ص 17.
7. عبيدة الصبطي :**مدخل إلى السيميولوجيا** ,تأليف نجيب بخوش , دار الخلدونية الطبعة الأولى الجزائر 2009 ص 25 ص26 .
8. رضوان بلخيري: **سيميولوجيا الصورة بين النظرية والتطبيق** , قسم الإعلام , دار قرمية للنشر والتوزيع , ص 36.
9. خلف عصام كامل: **الاتجاه السيميولوجي , ونقد الشعر**, دار فرحة للنشر والتوزيع , القاهرة مصر , 2003 ، ص 21 /22.
10. عبد القادر فهيم شيباني , **السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها**,منشورات الإختلافات , الدار العربية للعلوم الناشرون . ص 27.
11. فايزة عكاك : **محاضرات في السيميولوجيا العامة السنة الثالثة** , تخصص علاقات عامة . 2010-2011.
12. George Mounin : **Introduction a la sémiologie** , édition de minuit, France , 1970, P35.
13. أمبرتو ايكو، ترجمة سعيد بن كراد: **العلامة تحليل المفهوم و تاريخه**، ط2، المركز الثقافي العربي علي مولا، المغرب، 2010، ص 18.
14. فيصل الأحمر:**معجم السيميائيات**، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص 71.
15. جميل حمداوي: **التواصل السيميائي و التربوي**، مرجع سبق ذكره، ص 26.
16. نفس المرجع، ص 31.
17. فيصل الأحمر: **معجم السيميائيات**، مرجع سبق ذكره، ص 74
18. محسن البوعزيزي: **السيمويولوجيا الاجتماعية**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ص 14

قائمة المصادر والمراجع

1. أمبرتو ايكو، ترجمة سعيد بن كراد: **العلامة تحليل المفهوم و تاريخه**، ط2، المركز الثقافي العربي علي مولا، المغرب، 2010، ص 18.
2. جميل حمداوي:**التواصل السيميائي و التربوي**، منشورات الألوكة، الأردن، 2012، ص 7.
3. جوزيف دوفيتو، ترجمة حسن الطالب: **مبادئ التواصل الانساني**، مجلة علامات، العدد 29، المغرب، ،2008، ص 116.
4. خلف عصام كامل: **الاتجاه السيميولوجي , ونقد الشعر**, دار فرحة للنشر والتوزيع , القاهرة مصر , 2003 ، ص 21 /22.
5. رضوان بلخيري: **سيميولوجيا الصورة بين النظرية والتطبيق** , قسم الإعلام , دار قرمية للنشر والتوزيع , ص 36.
6. سعيد بنكراد: **السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها**،ط1، منشورات دار الأمان، المغرب، 2015، ص 19.
7. عبد القادر فهيم شيباني , **السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها**,منشورات الاختلافات , الدار العربية للعلوم الناشرون . ص 27.
8. عبيدة الصبطي :**مدخل إلى السيميولوجيا** ,تأليف نجيب بخوش , دار الخلدونية الطبعة الأولى الجزائر 2009 ص 25 ص26 .
9. فايزة عكاك : **محاضرات في السيميولوجيا العامة السنة الثالثة** , تخصص علاقات عامة . 2010-2011.
10. فيصل الأحمر:**معجم السيميائيات**، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص 71.
11. مبارك حنون: **دروس في السيميائيات**، دار توبقال للنشر، المغرب، 1987، ص 16.
12. محسن البوعزيزي: **السيميولوجيا الاجتماعية**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ص 14
13. George Mounin : **Introduction a la sémiologie** , édition de minuit, France , 1970, P35.